ووصل الجهل المطبق آخر درجاته فى القرن الثامن فهاجر العلم من قارة أوربا ووجد لنفسه ملجأين أحدهما فى الغرب فى الجزائر البريطانية خصوصا أرلندة . والثانى فى الشرق أى فى سوريا . وبلاد المسلمين . بينما كان المسيحيون بأوربا يحاربون العلوم والفنون اليونانية والرومانية.

احمد فهمى القطان

الخلق

لحضرة الكاتب الكبير ؛ والاستاذ الجليل صاحب التوقيع

أتدرى ماهو الخُلُق عندى ؟

هو شعور المرء ، بأنه مسئول أمام ضميره ، عما يجب أن يفعل لذلك لاأسمى الكريم كريما ، حتى تستوى عنده ، صَدَقَةُ السّر وصَدَقَةُ العلانية ، ولا الرحيم رحيما ، حتى يبكى قلبه ، قبل أن تبكى عيناه ، ولا العفيف عفيفا ، حتى يعف فى حالة الأمن ، كما يعف فى حالة الخوف ، ولا العادل عادلا ، حتى يقضى على نفسه ، قضاءه على غيره ، ولا الصادق صادقا ، حتى يصدق فى أفعاله ، صدقه فى أقواله ، ولا المتواضع متواضعا ، حتى يكون رأيه فى نفسه ، أقل من رأى الناس فيه .

التخلق غير الخلق . وأكثر الذين نسميهم فاضلين متخلقون بخلق الفضيلة لا فاضلون . لأنهم إنما يلبسون ثوبها مصانعة للناس أو خوفا منهم أو طمعا فيهم . فان ارتفعوا عن ذلك قليلا لبسوه طمعا فى الجنة التى أعدها

الله للمحسنين أو خوفا من النار التي أعدها الله للمسيئين

أما الذي يفعل الحسنة لأنها حسنة ويتقي السيئة لأنها سيئة فذلك من لا نعرف له وجودا أو لا نعرف له مكانا .

لا ينفع المرء أن يكون زاجره عن الشر خوفه من عذاب النار لأنه لا يعدم أن يجد بين الزعماء الدينيين من يُلبسُ له الشر لباس الخير فيمشي في طريق الرذيلة وهو يحسب أنه يمشي في طريق الفضيلة . أو خوفه من القانون لأن القوانين شرائع سياسية قد وضعت لحماية الآداب . أو خوفه من الناس لأن الناس لا ينفرون من الرذائل بل ينفرون مما يضرهم رذائل كان أم فضائل وانما ينفعه أن يكون ضميره قائده الذي يهتدي به ومناره الذي يستنير بنوره في طريق حياته

وما زالت الاخلاق بخير حتى خذلها الضمير وتخلى عنها وتولت قيادتها العادات والمصطلحات والقواعد والنظم ففسد أمرها واضطرب حبلها واستحالت الى صور ورسوم وزخارف وبهارج وأكاذيب والاعيب لا صلة لها بالنفس ولا أساس لها في القلب . فرأينا الحاكم الذي يقف بين يدي الله ليؤدي صلاته وأسواط جلاديه تمزق على مسمع منه جسم رجل مسكين لا ذنب له عنده سوى أنه يملك صبابة من المال يريد أن يسلبه إياها . والأمير الذي يبني مسجدا يتقرب به الى الله وهو يخرب في كل يوم بيتا من بيوت المسلمين . والفقيه الذي يتورع عن تدخين غليونه في مجلس القرآن ولا يتورع عن مخالفة آيات القرآن من فاتحتها الى خاتمتها . والغني الذي يسمع أنين جاره في جوف الليل

من الجوع فلا يرق له ولا يحفل به فاذا أصبح الصباح ذهب الى بعض الأضرحة ووضع فى صندوق النذور بدرة من المال قد ينتفع بها من لاحاجة به اليها .

الى كثير من أمثال هذه النقائص التى يزعم أصحابها ويزعم لهم كثير من الناس أنهم من ذوى الاخلاق الكريمة والسيرة المستقيمة

* * *

الخلق هو الدمعة التى تترقرق فى عين الرحيم كلما وقعت على منظر من مناظر البؤس أو مشهد من مشاهد الشقاء .

هو العرق الذى يتصبب من جبين الحيّ خجلا من السائل المحتاج الذى لايستطيع ردّه ولا يستطيع معونته

هو القلق الذى يساور نفس الكريم فى جُنح الليل ويحول بين جفنه والكرى ندما على هفوة زلت بها قدمه أو سقطة جرت بها أحكام القضاء

هو اللجاجة التى تعترى لسان الصادق حينما تحدثه نفسه با كذوبة تدفعه اليها ضرورة من ضرورات الحياة .

هو الشرر الذى يتطاير من عين الوفىّ حينما يراد منه الغدر بعهد قد أخذه على نفسه أو الحِنث بيمين قد أقسمها بين يدى ربه .

هو الصرخة التى يصرخها الشجاع فى وجه من يجترئ على إهانة وطنه أو العبث بكرامة قومه

وجملة القول إن الخلق هو أداء الواجب لذاته بقطع النظر عما يترتب عليه من النتائج فمن أراد أن يعلم الناس مكارم الأخلاق فليحى ضمائرهم وليبث فى نفوسهم شعور الرغبة فى الفضيلة والنفور من الرذيلة بأية وسيلة شاء ومن أى طريق أراد

فليست الاخلاق محفوظات تحشى بها الأذهان بل ملكات تصدر عنها آثارها عفوا بلا تكلف ولا تعمل صدور الاشعة عن الكوكب والاريج عن الزهر

مصطفى لطفى المنفلوطى

اللورد فرنسيس بيكون

حياته — فلسفته

الدور الرابع من أدوار حياته

أعماله السياسية

تركنا بيكون فى المقال السابق ناشئاً ، وصل الى أوج عظمته السياسية ، وخطيبا يسترعى الاسماع ، ويملك القلوب ، ويتصرف فى العقول ، وعالما يصرف أوقات فراغه فى البحث عن دقائق العلوم ،